

كلمات لا تنقصها الصراحة:

لمن يجتمعون فى بغداد نقول:

اتركوا مصر تعيش مثلكم

خطر بعثى شعوبى يجتاح العالم العربى:

ماذا نحن فاعلون لمواجهة؟

المصور: 78-10-27

بقلم: صبرى أبو المجد

أكتب هذه الكلمات عادة في صبيحة الثلاثاء من كل أسبوع ، حتى تكون الكلمات متصلة بالأحداث الجارية ، وحتى صبيحة يوم الثلاثاء ... لا أعرف هل ينعقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بغداد أم لا ينعقد؟

وهل يزور الأسد بغداد أم لا يزور بغداد؟ ثم هل يتلقى بعض الرؤساء والملوك العرب في اليوم الثاني من نوفمبر القادم في بغداد أم لا يلتقون؟ والحقيقة إنني كمواطن مصري عربي، ومنذ سنوات عديدة لم أعد أبدا أهتم بأمور تلك اللقاءات، ولا بمتابعة أخبارها على الإطلاق.

لقد أصبحت يائسا من كثير من اللقاءات العربية التي لم تعد أكثر من أعداد موائد طعام، و"مباوسات" ... وكلمات من فوق أطراف الألسن، تلاك... كما يلاك اللادن " اللبان"

هذه اللقاءات، ومنذ سنوات بعيدة لم تعد أبدا بقادرة على إن تنقل أي طرف من الأطراف العربية، من الموقع الذي اختاره لنفسه إلى أي موقع آخر.

وفي نفس الوقت، لم أعد أبدا- كمصري عربي- اهتم بأية اتفاقيات أو قرارات في هذا المؤتمر أو ذاك. فتوقيع القرارات، وخاصة القرارات السياسية " الكبيرة" أصبحت عملية روتينية كتدخين السجارة أو تناول فنجان من القهوة الحلوة أو القهوة المرة... كما يقول بعض الأخوة العرب...

أصبحت الاجتماعات أو أغلبية الاجتماعات، بدون ثمار على الإطلاق ، وفي نفس الوقت أصبحت الاتفاقيات ، وخاصة الاتفاقيات الضخمة، لا تساوي في الثمن، الأرقام الغالية التي توقع بها.

لقد عقد مثلاً، ومنذ وقت قريب ،مؤتمر رسمي " مؤتمر الصمود والتصدي"

في دمشق قيلت فيه أعذب الكلمات، أذيعت بعده أضخم القرارات، وراحت أجهزة الإعلام السورية، وليبيا والجزائر، ومن تدفع لهم إنظمة دمشق وطرابلس والجزائر.. تطبل وتزمر أيما طويلة، قبل إنعقاد المؤتمر، وفي اثناؤه ، وبعده... وكإنما الدنيا قد إنقلبت رأساً على عقب، وكإنما جيوش سورية وليبيا والجزائر، ومنظمة التحرير الفلسطينية، توشك إن تحتل تل أبيب وكإنما حل القضية الفلسطينية قد تحقق تماماً، وعادة الأخوة الفلسطينيون إلى أراضيهم وديارهم... وكإنما إسرائيل قد ألقى بها في البحر، وزالت من الخريطة السياسية الدولية.

وحتى الآن، وبرغم مرور أسابيع كثيرة على إنعقاد " مؤتمر التصدي والصمود" .. لم يتحقق أي بند من بنود قرارات هذا المؤتمر، اللهم إلا بند واحد سري، لإنعرف هل جاء ضمن مقررات هذا المؤتمر .. أم لم يجيء؟!!

.... هذا البند يتضمن استيلاء العقيد الفقيد القذافي على بعض أراضي الصحراء الجزائرية.

لقد إنتهز " الأخ " العقيد الفقيد معمر القذافي - وهو إنتهزي بطبعه- فرصة إنشغال " الأخوة" الجزائريين في جبهة الصحراء المغربية، واعتداءاتهم المتكررة على الأراضي المغربية .. كما إنتهز فرصة الأوضاع الداخلية المتردية في الجزائر، والتي توشك إن تحدث إنقلابات خطيرة في السياسة الجزائرية، كما إنتهز أيضا فرصة مرض الرئيس هواري بومدين- شفاه الله - وهو - أي المرض- أصبح مؤكدا..لا من جانبنا نحن فنحن لإنريد لهواري بومدين إلا الصحة والعافية...

وإنما من جانب السوفييت ، ومصادر، الإنباء العالمية... إنتهز القذافي كل هذا، وقام بعملية " سطو" على الصحراء الجزائرية تكملة للأراضي المملوكة لجمهورية تشاد ، والتي سبق له إن احتلها.

والأخ العقيد الفقيد معمر القذافي عضو هام بارز في " مؤتمر الصمود والتصدي " وكذلك الأخ هواري بومدين هو بدوره أيضا عضو بارز في " مؤتمر التصدي والصمود"

وقد كان من بين النتائج " المبهرة" التي حققها " مؤتمر الصمود والتصدي " في دمشق إن التقى الملك حسين بياسر عرفات، بناء على أمر تلقاه ياسر عرفات من ولي أمره القذافي . تم اللقاء الثلاثي على الحدود السورية الأردنية .

ورغم مرور أسابيع عديدة على هذا اللقاء، فإن موقف الملك حسين حتى الآن لم يتغير من المقاومة الفلسطينية ولم يسمح لها على الأقل إن تزاول أعمالها الفدائية من داخل الأراضي الأردنية . كما إن موقف المقاومة من الملك حسين لم يتغير بعد، ولم يتبدل ... فلا تزال التعميمات التي تصدرها المنظمات الفدائية في الغالب، تصف نظام الملك حسين بالنظام العميل .

والشيء الوحيد الذي " إنجته" اللقاء الثلاثي بين الملك حسين، ومعمر القذافي ، وياسر عرفات.. هو محاكمة ياسر عرفات محاكمة داخلية...

لا نعرف حتى الآن نتائجها ... وإن كنا نعرف جيدا إن ياسر عرفات قد تعرض ... حتى من أقرب الناس إليه وهو أبوأياد... لمؤاخذات قاسية أوجدت تفككا في داخل منظمة فتح.

إن الاتفاقية العربية، سواء بين إنظمة " الصمود والتصدي" ... أو... إنظمة " التصدي والصمود" ... لست أدري .. وغيرها ... وغيرها....

قد أصبحت كالاتفاقيات التي تعقد اليوم في كل ساعة من ساعات النهار، بين الأطراف المتقاتلة المتصارعة في لبنان، تعقد و"زخات" الرصاص - كما يقولون - تدوي في كل مكان وتنفض و" زخات" الرصاص أيضا تدوي في كل مكان.

ولذلك، فإنني كمواطن مصري عربي، لا أخشى أبدا من أية اتفاقيات معادية لمصر تعقد في بغداد أو في غير بغداد.. ولذلك لم اهتم كمصري عربي، بأية إنباء خاصة أو عامة تجيء من بغداد بخصوص اجتماع مؤتمر وزراء الخارجية العرب، أو بعض وزراء الخارجية العرب. وكذلك لم اعد أهتم باجتماع" القمة" في بغداد، وتأجيل إنعقاد مؤتمر "قمة" في بغداد يوما أو يومين.

فمبلغ فهمي القاصر إن هذه الاجتماعات ... مجرد مظاهرات نفاق، لا تقدم ولا تؤخر...

ولا تفيد على الساحة العربية بقدر ما تضر.

أعرف إن بعض الأنظمة العربية تتفق بغداد . وتخشى من الدخول معها في مناقشات ومصادمات، ليست رغبة فيها الإن.

وأعرف أيضا إن بعض الأنظمة العربية "الصديقة" لنا يههما بالقطع إن تبدو أمام الآخرين وكأنها ليست مع مصر... أو إنها تقف موقف الحياد بالنسبة للصراع القائم اليوم في البلدان العربية.

وأعرف كذلك ، في نفس الوقت ، إن نظاما عربيا أو أكثر يخشى على نفسه من البعث العراقي ، الذي يستطيع بسهولة إن يثير القلاقل في داخل هذا النظام دون إن يبذل أي جهد يذكر.

وقد يلتقي كل هؤلاء وهؤلاء في بغداد، وقد لا يلتقون . فهذا لا يهمننا في كثير أو قليل. غير إنني كمصري عربي، أحب إن أقول وبصراحة كاملة، بعيدا عن أية رسميات أو بروتوكول إنني لا يمكن إن إنسى في حياتي هذا الموقف لأي زعيم أو حاكم عربي إلى بغداد.

إن دعوة بغداد إلى عقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب بعيدا عن الجامعة العربية، ودعوة بغداد لمؤتمر قمة عربي بدون مصر....

هاتين الدعوتين في حد ذاتهما، مظاهرتين موجّهتين في الأصل ضد مصر. ولذلك فإن شعب مصر يحس بالمرارة تجاه أي عربي - مهما كانت الأسباب التي تدعوه إلى قبول تلك الدعوة - شعب مصر يحس بمرارة سوف تبقى في قلبه وعقله دائما بالنسبة لأي رئيس أو حاكم عربي قبل هذه الدعوة وشارك بأي جهد في هذين المؤتمرين.

إن الفكرة التي نفذت بعقد مؤتمر للصمود والتصدي في دمشق، هي نفس الفكرة التي وراء الدعوة لعقد مؤتمر بغداد.. لا فارق بين الفكرتين، ولا فارق على الإطلاق بين مؤتمري دمشق وبغداد، تلك هي الحقيقة واضحة لا لبس فيها ولا غموض...

حافظ أسد يعادي مصر، لإن سادته الذين يأمرونه فيطيع.... يدعو إلى عقد مؤتمر معاد لمصر. صدام حسين وتابعة أحمد حسن البكر تتنابها الغيرة من فشل مؤتمر قمة الصمود والتصدي في دمشق فيدعوان بدرويهما إلى عقد مؤتمر آخر يتفق في الأسلوب وفي المنهج وفي الهدف مع مؤتمر قمة الصمود والتصدي في دمشق.

ولعلي أسعد الناس ببقاء حافظ الأسد و صدام حسين وتابعه أحمد حسن البكر فمنذ سنوات عديدة وأنا أقول باستمرار في هذه الصحيفة إنه لا خلاف على الإطلاق بين البعث السوري... وبين البعث العراقي....

وإنما هما أداتان تعملان في خدمة سيد واحد. يقول لهما اتفقا : فيتفقان .

وقد قلت في الأسبوع الماضي ، ولم يكن هذا اللقاء قد تحدد: إن السيد الذي يسير نظام البعث السوري والبعث العراقي، قد ضغط على " زرين" معينين ... فإذا بالسيد حافظ الأسد ... و صدام حسين يستجيبان، بل ويلتقيان.

ولعلي كذلك من أسعد الناس، لأن نظامي البعث السوري والبعث العراقي قد إنكشفا تماما أمام الجماهير العربية التي لم تكن قد كشفتهما من قبل...

وبين يدي الآن ، وأنا أكتب هذه الكلمات، كل الصحف البعثية الصادرة في دمشق، وكل الصحف البعثية الصادرة في بغداد، وأقسم غير حائث، إنني لم أجد تهمة من التهم التي تعارف الناس على تسميتها " بتهم سياسية" لم يلصقها البعث السوري بالبعث العراقي، ولم يلصقها البعث العراقي بالبعث السوري الخيانة ، والعمالة والنظام المشبوه و" النكارته" نسبة إلى تكريت التي ولد فيها صدام حسين وأحمد حسن البكر ، تصفية القضية الفلسطينية ، التآمر ضد القومية العربية....

تنفيذ مخططات الإمبريالية والصهيونية....

وكل "أية" بتشديد الياء..... كلها واردة في صحف البعث السوري ، وفي صحف البعث العراقي.

ما الذي مسح كل هذه التهم التي كان يتبادلها الفريقان : هل تغير أسد؟ هل تغير صدام حسين ؟ هل عاد صدام حسين إلى الخط القومي العربي الذي كان ينادي به حافظ أسد.. أم هل عاد حافظ الأسد على حظيرة الشعب العربي.. بعد إن كان خارجا عليه..... كما قال صدام حسين وصحف صدام حسين!؟

الحقيقة إن أحدا منهما لم يتغير، ولم يتبدل. خطط البعث العراقي هو خطط البعث العراقي. وخطط البعث السوري هي خطط البعث السوري....

قبل إن يلتقي حافظ الأسد بصادم حسين وتابعه أحمد حسن البكر واثناء لقاء حافظ أسد بصادم حسين وتابعه أحمد حسن البكر. وبعد لقاء هؤلاء القادة العباقرة العظام ! لم ولن يتغير شيء بالنسبة لحافظ أسد، ولا بالنسبة لصادم حسين وتابعه أحمد حسن البكر. ولم ولن يتغير شيء على الإطلاق فيما يتعلق بمناهج ومخططات وشعارات أحمد حسن البكر وصادم حسين وحافظ أسد...

كل الذي تغير، إن السيد "الأوحد" الذي يحكم هذين النظامين ، قد ضغط على " رزين" معينين في بغداد ودمشق فأطاع " العبيد"؟!...!

ولعله من نكد الطالع على الأمة العربية، إن يقودها في هذه المرحلة التاريخية الخطيرة حافظ أسد، وصادم حسين ، هذا يكتل مجموعة من الدول العربية تلتقي في دمشق ، وذلك يكتل مجموعة أخرى من الدول العربية قد تلتقين أو قد لا تلتقي في بغداد.

وأحب إن أقول بهذه المناسبة ..

إنني أعتقد إن هناك خطرا بعثيا شعوبيا يهدد الأمة العربية... هذا الخطر ينمو ويزداد بمرور الأيام ، لإن بعض الإنظمة العربية قد هادنت البعث الشعبي.

وهذه الإنظمة العربية هي التي سوف تكتوي بنيران هذا الخطر في المستقبل إن مصر لا خطر عليها أبدا من البعثية الشعبوية . ولقد حاول البعثيون ، حتى منذ عام 1954 إن يكون لهم تنظيم بعثي في مصر، وفي أيام الوحدة المصرية السورية، بذل البعثيون الكبار جهودا شاقة ومضنية من أجل إقامة تنظيم بعثي في مصر .

ولم ينجح أولئك ... طوال العشرين عاما الماضية، في إن يجندوا من المصريين لفكرهم أكثر من أربعة أو خمسة، نستطيع إن نعدهم على أصابع اليد الواحدة، ونستطيع إن نذكر أسماءهم واحدا وراء الآخر.. هؤلاء هم حصيلة جهود شاقة ومضنية بذلتها القيادات البعثية السورية والعراقية، أو السورية العراقية، أو بذلها السيد الأوحد، الذي يحكم هذين النظامين في بغداد ودمشق... ولكن الذي نخشاه حقيقة ألا يكون هناك عند بعض الشعوب العربية، حصانة كافية ضد البعثية الشعبوية، فنتأثر هذه الشعوب ببعض المحاولات التي يبذلها البعثيون في بغداد ودمشق.... للإنتقاض على بعض الإنظمة العربية التي تهادنهم اليوم. وأخشى إن يجيء اليوم الذي تقول فيه هذه الإنظمة "إنها أكلت يوم أكل الثور الأبيض" . وقصة الثور الأبيض كما كنا

نقروها صغارا في " كليلة ودمنة" تتلخص في إن " أسدا" ضعيفا هزيلا غير قادر على إن يقوم بأي شيء... كإن يعيش في غابة ومعه ثلاثة ثيران، أحدهم لونه أبيض والآخر لون أحمر والثالث أسود. وذات يوم جاء الأسد الضعيف الهزيل إلى الثورين الأحمر والأسود، قائلا لهما: إن لون على لونكما، ولا يفضحنا في أجمتنا هذه إلا الثور الأبيض، فلو تركتاني أكله لصفا لنا الجو، وعيشنا في سلام ووثام. فقال له دونك فكله . فأكله ... وبعد أيام جاء إلى الثور الأسود قائلا له إن لوني كلونك ، ولا يفضحنا في أجمتنا هذه إلا الثور الأحمر، فلو تركتني أكله لصفت لنا الغابة وعشنا في سلام ووثام، فقال له الثور الأسود دونك فكله. فأكله. وبعد يوم آخر جاء الأسد الضعيف الهزيل إلى الثور الأحمر قائلا له : إنني أكلك لا محالة.

فقال الثور الأحمر: " إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض".

ومدلول هذه القصة ، إن البعث العراقي السوري الهزيل الضعيف، لا يقوى على التصادم مع بعض الإنظمة العربية ، وهو لهذا يحاول إن يفتك بنظام تلو نظام ليصفو له الجو . وبعد إن يتآمر ضد بعض الإنظمة العربية المجاورة، سوف يصبح - لا قدر الله هو السيد السند الذي يتحكم في تلك المنطقة العربية من الشرق العربي ونعتذر لإننا ضربنا الأمثلة بالأسد والثيران، فضرب الأمثلة في مثل هذه المسميات من الأمور الطبيعية. وقد وردت في القران الكريم أمثلة كثيرة من هذا القبيل.

وهإنحن نحذر وننذر من هذا الوباء الشعبي البعثي، واللهم فأشهد، فقد بلغنا....

ويبقى بعد ذلك كله كلمات قليلة، لا بد إن نركز عليها في ختام هذه السطور، نقولها بكل ما نملك من إيمان وصدق وصراحة:

ليست المشكلة العربية هي مشكلة حافظ أسد ، وصادم حسين، والبكر فأولئك جميعا أدوات لا يخشى من جانبها على الإطلاق . ولكن المشكلة الحقيقية هي مع من يسيرون حافظ أسد وصادم وتابعه أحمد حسن البكر ؟. وأولئك الذين يسيرون هؤلاء الثلاثة، ومن سبقوهم ، إنما هم من غلاة أعداء الأمة العربية الذين لا هم لهم إلا محاولة القضاء عليها وإعاقة مسيرتها.

ولقد سبق إن قلت مرارا وتكرارا إن هؤلاء الذين يسيرون البعث العراقي والبعث السوريين ورغم الشعارات البراقة التي يرفعها البعث العراقي والبعث السوري ، هم من غلاة

الاستعماريين الذين يعادون الأمة العربية. وعلى من لا يصدق وجهة النظر هذه، إن يراجع تاريخ البعث في كل من سورية والعراق.

هل يتصور أحد، أي أحد إن نظام البعث العراقي مثلا ، الذي يسيطر بالحديد والنار على مقدرات الشعب العراقي منذ فبراير 1963 إلى اليوم لم يقدم من أجل القضية العربية أكثر من ثمانية عشر شهيدا سقطوا في أرض الجولان... بينما أسقط هذا النظام بالغدر والخديعة المئات من أبناء الشعب العربي في كثير من العواصم العربية والأوروبية والآسيوية؟!!!

يرد على السنة بعض قادة البعث العراقي تصريحات يفهم منها إنهم يريدون إن يخرجوا من مؤتمرهم في بغداد بقرار يدعو إلى معاملة مصر تماما كمعاملة إسرائيل.. وأعود على ما سبق إن قلته في هذا المكان، منذ بضعة أسابيع، عندما ورد على السنة قادة البعث السوري، مثل هذا الكلام قلت "إننا كمصريين نرحب إلى أبعد حدود الترحيب بأن يعاملنا البعثيون في سوريا والبعثيون في العراق، كما يعاملون إسرائيل .

" إن البعث العراقي والبعث السوري لا يحارب إسرائيل، ولا يتآمر ضد إسرائيل، ولا يخصص الصحف ومحطات الإذاعة لمهاجمة إسرائيل .

ولن نطمع نحن في أكثر من هذا بالنسبة لموقف البعث السوري والبعث العراقي منا . لا نطمع في أكثر من ألا يحاربونا كما لا يحاربون إسرائيل!

ومن ألا يتآمرون ضدنا، كما لا يتآمرون ضد إسرائيل ، ومن ألا يخصصون الصحف والإذاعات لمهاجمتنا ، كما لا يخصصون الصحف والإذاعات لمهاجمة إسرائيل".

وتبقى بعد ذلك كله كلمة صريحة أقولها كمواطن مصري عربي، قبل إن يتجه أحد 'إلى بغداد للمشاركة في مؤتمر وزراء الخارجية ، أو للاشتراك في مؤتمر القمة المقترح في بغداد.

إننا لن نقبل أبدا التآمر ضدنا من أحد. وسوف نرد على هذا التآمر بمثله.

إننا لن نصبر على أحد من خصومنا وأعدائنا، كما سبق إن صبر وصابرنا.

إننا نخشى إن يفيض بشعب مصر الكيل، فيتخذ من المواقف ما لا نحن له إن يتخذها.

إن مصر لن تضار بأكثر مما أضررت، حيث تكسرت في قلوب النضال على النضال، وإنما الذي سيضار من كل تلك الحركات المشبوهة والتصرفات اللاعربية .. ومن بينهم لقاءات بغداد... الذي سيضار الشعب العربي ككل ، وحركة النضال العربي، التي نحرص على قوتها ووحدتها، كما نحرص على حياتنا والله الموفق دائما إلى ما فيه سواء السبيل.

www.anwarsadat.org